سينما

غياب نوادي السينما العربية

تقنيات حديثة أم قمع ورقابة وتسلّط؟

تتغيّر طقوس المشاهدة السينمائية، فتُطرح تساؤلات عدّة عن أسباب غياب نوادي السينما العربية، المعتمدة سابقاً على نسخ وصالات سينمائية

نديم جرجوره

طقوس المُشاهدة السينمائية تتغيّر يوماً تلو آخر. التغيّر غير مرتبطٍ فقط بتفشّي وباء كورونا في العالم، بدءاً من مطلع عام 2020. التقنيات، المتطوّرة بسرعة منذ سنين مديدة، دافعٌ أساسيّ إلى التغيّر، إذْ تمنح المُشاهد المهتم، القادر على امتلاكها، أدوات مشاهدة منزلية، تقترب كثيراً من تلك التي تمنحها الصالات المعتمة. كورونا يؤدّي إلى طغيان أكبر للمنصّات، بالنسبة إلى من لا يملك تقنيات حديثة، فالحاجة إلى مُشاهدة أفلام ومسلسلات وسلاسل وثائقية ملحّة في عزلات وحجر منزلي، لفترات طويلة.

التقنيات نفسها تطرح سؤال نوادي السينما. في تونس والمغرب ولبنان وسورية ومصر، مثلاً، تصنع النوادي، في مراحل زمنية قديمة، جزءاً أساسياً من الوعي والثقافة والمعرفة، بمُشاهدة أفلام وإجراء نقاشات وتنظيم لقاءات حيويّة، يستفيد منها كثيرون، ومنهم من يعمل لاحقاً في مجالات سينمائية مختلفة، كالإخراج والنقد، وإقامة ورش عمل وتدريبات، والتدريس. لكلّ بلدٍ عربي خصوصيات تتعلّق بآلية المُشاهدة، وتأثيراتها المتنوّعة. لكنّ المشترك بينها كامنٌ في أنّ نوادي السينما فعلٌ ثقافي وفكري وجمالي، يُساهم في بلورة علاقات حيوية بالسينما وأسئلتها وأشكالها واشتغالاتها، كما بالعاملين والعاملات فيها. بعضُ شهود تلك المرحلة التاريخية يحفظ في ذاكرته حالة ومسارات وتفاصيل، يقول إنّها راسخةٌ في الوجدان والعقل والروح. نوادي السينما، في خمسينيات القرن الـ20 وستينياته وسبعينياته تحديداً، غير معنيّة فقط بالمُشاهدة، مع التنبّه إلى أنّ أدوات المُشاهدة حينها سينمائية، فالغالبية الساحقة من تلك النوادي تعرض أفلاماً بنسخٍ سينمائية، في صالات سينمائية. النواديَ غير معنيّة فقط بالمُشاهدة، فهدفها يتجاوز هذه الأخيرة إلى السياسة والاجتماع والنتاج الثقافي والفني والمعرفي، من خلال نقاشاتٍ تحصل بين مُشاهدين ومُنشّطين، وأحياناً كثيرة بين هؤلاء ومخرجين وممثلين وتقنيين، وبعضهم غربيّ، يُدعى إلى بيروت مثلاً رفقة فيلمٍ أو أكثر من أفلامه، ثم ينتقل النقاش من الصالة (سينما كليمنصو) إلى أحد مقاهي شارع الحمرا، القريب منها.

يحدث هذا في زمنٍ عربي يعيش غلياناً متنوّعاً في أمور الحياة اليومية وشؤونها الثقافية، المفتوحة على كلّ شيءٍ. لن يحول هذا دون تمتّع بالسينما، وبجمالياتها وأنماط صناعتها ومضامينها. التداخل بين النظريات والمعالجة والفنّ السينمائي حاصلٌ، فاللحظة التاريخية تلتقط نبض المجتمع والناس، والسينما تواكب هذا، والعالم مليء حينها بأفلامٍ تقول شيئاً من ذلك الغليان. عرض تلك الأفلام معقودٌ على نسخ سينمائية في صالات سينمائية، وهذا تفصيلٌ لن يُلغي أهمية ما يلحق بالمُشاهدة، فالنقاش أساسيّ، وطرح الأسئلة كلّها من دون استثناء مطلوبٌ، والصدام مع تزمّت وانغلاق ومُحافَظة يتقوقع إزاء سطوة السينما، وسطوة ما تحمله من تحريض على التفكير والتساؤل والبحث والتفكيك والتعرية.

نواد للسينما تعرض أفلاماً لمناقشة الفن والثقافة والفكر

أحد أسباب غياب نوادي السينما، وهذا مطروحٌ للنقاش، يكمن في التطوّر التقني الهائل، الذي يُتيح للمهتمّ، الـ«سينيفيلي» وغير الـ«سينيفيلي»، فرصة المُشاهدة المنزلية، التي ستُلغي، تدريجياً، حيوية السجال والحوار، مُلغيةً معها المفهوم الجماعي للمُشاهدة. سطوة التقنيات، وانحسار الأفكار الطامحة إلى تجديد وتغيير وإصلاح، في عالم عربي منغلق على عاداته وتقاليده وثقافته الضيّقة (وهذا غير شامل الجميع)، وشيوع أنواع أخرى من المُشاهدة، تُساهم كلّها (ربما هناك أسبابٌ أخرى أيضاً) في إلغاء «نادي السينما»، فكرةً وثقافة وعلاقات وحضوراً اجتماعياً.

التقنيات الحديثة تنقل المُشاهدة إلى غرفٍ، صغيرة أو كبيرة، في منازل كثيرة، جاعلةً منها (الغرف) صالاتٍ يفتخر أصحابها بامتلاكهم فعل مُشاهدة سينمائية بفضلها، مع تقنينٍ جوانب منها تفرضه الغرف، وإنْ تكن كبيرة. لكنْ، أتكون التقنيات وحدها سبباً وحيداً لغياب نوادي السينما في مدنٍ عربية؟ أم أنّ لـ«صالات فنّ وتجربة»، المنتشرة في بعض تلك المدن بتمويلٍ من «الاتحاد الأوروبي»، دوراً في عملية الإلغاء، الذي ربما لن يكون مقصوداً؟ أتكون «صالات فنّ وتجربة» بديلاً من «نوادي السينما»، أم أنّها شكلٌ أكثر تطوّراً لها؟ أيُمكن ردّ السبب إلى تنامي القمع والرقابات والتسلّط العسكري على الحكم في بلدانٍ عربية؟ هذا من دون تناسي أنّ سينماتٍ عربية، حديثة وقديمة، تواجه القمع والرقابات والتسلّط العسكري، بأنماطٍ شتّى من القول والاشتغال، اللذين يمتلكان حدّاً كبيراً من جمالية السينما وحيويتها السجالية، وهاتان الحيوية والسجالية مرفوضتان من القمع والرقابات والتسلّط العسكري.

«ماذا بعد» طقوس المُشاهدة؟ صالة سينمائية نيويوركية (اريكا ستون/ Getty)

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

أفلام جديدة

■ Oranges Sanguines لجان كريستوف موريس، تمثيل ليليت غراسماغ (الصورة، Getty) وكريستوف باوو: في وقتٍ واحد في فرنسا، يحاول اثنان من المتقاعدين، المُثْقَلَين بديون كثيرة، أنْ يفوزا في مسابقة خاصة بموسيقى الـ«روك»؛ ويُشتَبَه بتهرّب وزير نافذ من دفع الضرائب؛ ويلتقي مُراهقٌ برجل غامض وغريب بسلوكه الجنسي. ليلة واحدة لهذه الأحداث كلّها، ستكون طويلة جداً، تبدأ مع إطلاق سراح كلاب مختلفة.

■ Une Vie Demente لآني سيرو ورافاييل بالْبوني، تمثيل بوسي دوبي (الصورة، Getty) وجو دوسور وجان لو بلْتيه: يرغب ألكس ونعومي في إنجاب طفل. لكنّ تغييراً يحصل فجأة، مع السلوك الغريب لوالدة ألكس، التي تأتي إليهما مع طفل. تتشابك الأمور كلّياً، وتدفع الحبيبين إلى اختبارات غير متوقّعة لمفهوم الأبوة والأمومة، بطرق عجيبة وغير معتادة.

■ Olga لإيلي غْراب، تمثيل ناستازيا بودباشكينا (الصورة) وسابرينا روبتْسوفا: لاعبة جمباز (15 عاماً)، قلقة ومرتبكة، تجد نفسها محتارة بين البقاء في سويسرا، حيث تتدرّب للمشاركة في بطولة أوروبا للأولمبياد، وبلدها أوكرانيا، حيث تتابع والدتها الصحافية أخبار التظاهرات المدافعة عن تقارب أوكرانيا مع أوروبا، والتي بدأت في 21 نوفمبر/ تشرين الثاني 2013. فيلمٌ يمزج الرياضي بالسياسي والصحافي والأخلاقي.

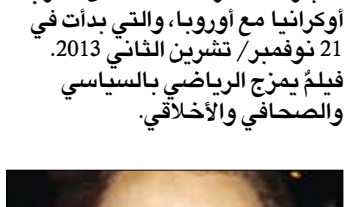

■ Antiers لسكوت كووبر، تمثيل كيري راسل (الصورة) وجيسّي بليمونس وجيريمي تي. توماس: تكتشف جوليا، الأستاذة في إحدى كلّيات بلدة تعدين صغيرة في ولاية أوريغن، أنّ أحد طلاّبها ضحيةُ والده وشقيقه. تُقرّر التحقيق بالموضوع، مع شقيقه بول، رئيس شرطة البلدة، فيكتشفان معاً سرّاً «خارقاً للطبيعة»، له نتائج مروعة.

■ Tre Piani لناني موريتي إخراجاً وتمثيلاً، مع مارغريتا باي (الصورة) وأليسّاندرو سْبردوتي: أحداث متفرّقة ومتلاحقة تُبدِّل أحوال ساكني مبنى في روما، وتكشف عن صعوبة أنْ يكون كل واحد منهم أباً أو أماً أو أخاً او شقيقةً او قريباً أو قريبةً أو صديقاً أو جاراً. هناك استياء وخوف، والرجال عنيدون والنساء يحاولن إصلاح الواقع والعلاقات، كلّ واحدة بطريقتها الخاصة، بهدف «نشر الحبّ» بين الجميع، ذاك الحب الذي ظنّ هؤلاء أنّه اختفى إلى الأبد.

«أخطر رجل في أوروبا»

خبث السياسة والمصالح على حساب الضحايا

عند سؤاله عن كيف يجب أنْ يذكر التاريخُ النازيَّ أوتّو سكورزيني، يُجيب الإسرائيلي رافي إيتان: «يجب أنْ يذكره كرجلٍ قدّم خدمة عظيمة لقوات الدفاع الإسرائيلية». إيتان عميل سابق للـ«موساد»، ووزير سابق. أبرز سبب لشهرته معقود على مشاركته في اعتقال النازيّ أدولف أيخمان في الأرجنتين، وجلبه إلى إسرائيل (مايو/ أيار 1960) لمحاكمته عن جرائمه العنصرية ضد اليهود، زمن الحرب العالمية الثانية (1939 . 1945)، ثم إعدامه (11 أبريل/ نيسان 1961 . 31 مايو/ أيار 1962). المفارقة الصادمة أنّه سيكون، هو نفسه، من سيُجنّد سكورزيني للعمل في الـ«موساد». أما سكورزيني، فمُدلَّل عند أدولف هتلر، لقربه الشديد منه، ولتنفيذ مهمات خاصة له، ولإنقاده موسوليني من الأسر (19 سبتمبر/ أيلول 1943). رجلٌ يتباهى بنَدبة على خدّه الأيسر (أنا فخور جداً بها)، سيحتاج إلى 14 مشاجرة بسيوفٍ وأسلحة يدوية حادّة، كي يحصل عليها، لكونها مفخرة طلاّب جامعيين في فيينا، مطلع عشرينيات القرن الـ20. هذا تقليد أصيل في ألمانيا منذ القرن الـ18: الجمعيات الطالبية المحافظة تُسوّي خلافاتها بمبارزات بالسيوف، والندوب التي تُترَك، تُشبه أوسمة شرف تُعبِّر عن شجاعة أصحابها.

هذا مرويٌّ في «أخطر رجل في أوروبا: أوتّو سكورزيني في إسبانيا»، وثائقيّ إسباني (67 دقيقة، 2020، «نتفليكس») لبيدرو دي اينشافي غارثيا وبابلو أثورين ويليامس، يعتمد على نحو ألفي وثيقة محفوظة لدى عائلة بادرو بعد وفاة «الأسطورة» النازيّة، تتكوّن من مذكّرات يومية وجوازات سفر ومراسلات ودفاتر مصرفية ومعاملات، وغيرها. وثائق يرغب لويس ماريا بادرو في بيعها إلى أميركيين وألمان وآخرين، من دون جدوى، قبل طرحها في المزاد العلني، ووصولها إلى الجندي الأميركي السابق والمؤرّخ الحالي رالف بي غينيس، الذي لا يزال إلى الآن يُنقِّب فيها، مُحلّلاً وكاشفاً ما تحتويه من أسرار.

أوتّو سكورزيني في مدريد، 15 نوفمبر 1962: نازيّ يتعامل أعداؤه معه (جياني فيرّاري/ Getty)

ألفا وثيقة تروي حكاية أخطر نازيّ يتعامل أعداؤه معه

صُور فوتوغرافية وتسجيلات مُصوّرة تتابع سيرة أوتّو سكورزيني (فيينا 1908 . مدريد 1975)، منذ عشرينيات القرن الماضي (الجامعة والمبارزة والندبة) حتّى سبعينياته. لقاءات مع مؤرّخين وصحافيين وباحثين (تصوير خافيير غونثاليث) في أميركا وإسبانيا تحديداً، تتداخل مع مادة أرشيفية (مونتاج نوفري مويا ولويس بيريث)، وموسيقى تُلائم أجواء حربٍ ونازية وديكتاتوريات وعلاقات استخباراتية تُخالف المنطق (فرنثيسكو ألبينيث)، لسرد حكاية نازيٍّ تتعامل معه «وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية» والـ«موساد» الإسرائيلي. هذا يُشبه الاستفادة الألمانية الغربية من خدمات اقتصاديّ نازيّ آخر يُدعى يالمار شاخت (رئيس بنك الرايخ ووزير الاقتصاد بين عامي 1934 و1937)، الذي يصدر حكم ببراءته في محاكمات نورمبيرغ. شاخت سيكون أحد أبرز داعمي سكورزيني في حياته اللاحقة على الحرب. ألمانيا الخارجة من حربٍ مُدمِّرة، تريد استعادة ازدهارها الاقتصاديّ، فتتعاون مع نازيّ؛ والإسرائيلي، الذي يُطارِد النازيين، يتعامل مع نازيّ لإحباط مشروعٍ ناصري خاص بإعادة تسليح الجيش المصري؛ والأميركي، المنتصر على هتلر، يعمل مع نازيّ بعد تسهيل محاكمتين اثنتين له في «داخاو» عام 1947، لإصدار حكمٍ ببراءته. أحد «المدافعين عنه» حينها، من بينٍ عشرات ضباط التحالف، بريطاني يُدعى يو توماس، تعرّض لتعذيبٍ على أيدي النازيين عند اعتقاله في معسكرٍ «بوخنفالد»: كيف يُمكن لهذا الرجل، الذي تعذّب بوحشية على أيدي رجال الـ«غستابو»، أنْ يُدافع عن ضابط «أس أس»؟ الجواب لغينيس: هناك أوامر بمساعدته لتبرئته، ليُجنّد لاحقاً كعنصر استحباراتي لصالح الغرب.

نديم...

النص الكامل
على الموقع الالكتروني